النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٥٠ / ٢٠٠٠

الأحد ١٠ كانون الأول

القديسين الشهداء مينا الرخيم
الصوت وأرموجانوس وأفغرافس

اللحن الثامن
إنجيل السَحَر الثالث

+ القديس اسبيريدون العجائبي

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الثاني عشر من كانون الأول لتذكار أبينا الجليل في القديسين اسبيريدون العجائبي أسقف تريميثوس (في قبرص) الذي انتقل من رعاية الأغنام والماشية إلى رعاية خراف الله الناطقة فجلبها إلى حظيرة المسيح وأضحى نموذجًا للراعي الصـــالح. وقـــد اختارته الكنيسة مع القديس نيقولاوس، من بين رؤساء الكهنة، لتطلب شفاعتهما فـــي طلبـــة «خلّص يا رب شعبك وبارك ميراثك وافتقد عالمك بالرحمة والرأفة...». في صلاة الســـحر، وفي صلاة كسر الخبزات الخمس في صلاة الغروب.

ولد اسبيريدون في النصف الثاني في القرن الثالث في جزيرة قبرص لوالدين مسيحيين أورثاه مهنة رعاية المواشي كما ربّياه على الإيمان القويم وعلى البساطة وحفظ نقاوة القلب ومحبة القريب والغريب. لم يتسنَ له تعلّم علوم الدنيا، إلا انه كان يعرف الكتاب المقدس معرفة جيدة. لما صار شابًا تزوج ورزقه الله ابنة سمّاها إيريني (سلام) عاشت حافظة بتوليتها ومكرِّسة نفسها لخدمة والدها.

ذاع صيته الحسن في كل قبرص، حتى ان الشعب طالب به أسقفًا على مدينتهم تريميثوس بعد رقاد أسقفهم. وهكذا دبَّر الله راعيًا لخرافه الناطقة. لم يهمل اسبيريدون صنعته السابقة بل بقي يرعى الأغنام إلى جانب اهتمامه بالرعية. كان همّه أن يخلّص النفوس الخاطئة.

يُحكى ان لصوصًا أتوا ليلاً ليسرقوا من خرافه، لكن قوَّة خفية منعتهم من الخروج من الحظيرة. ولما حلَّ الصباح، أتى اسبيريدون ليجد اللصوص مقيّدين في الداخل. أخبروه بما حصل لهم معلنين توبتهم، فسجد إلى الأرض وصلَّى إلى الله ليطلقهم ويغفر خطاياهم، ثم أعطاهم كبشًا وأطلقهم قائلاً لهم ما كان ينبغي أن يتحملوا هذه المشقات إذ كان بإمكانهم المجيء إليه وطلب المعونة، وهو لن يردّهم خائبين شرط أن لا يدنسوا ضمائرهم بالسرقة.

لقد كان يصرف كل مدخوله على مساعدة المحتاجين، وقد أقام صندوقًا يضع فيه ماله ويبقيه مفتوحًا، وكل من أتاه محتاجًا كان يطلب منه أن يذهب ويأخذ من الصندوق دون مساعدة أو رقيب، لأن الله هو الرقيب. وكانت نعمة الله له كبيرة لأن الصندوق لم يكن يفرغولا رُد طلب أحد. يحكى ان شخصًا أتاه طالبًا قرضًا، فقال له القديس ان يمضي ويأخذ من الصندوق، على أن يُعيد المال لاحقًا. أخذ الرجل المال ولم يُعده. وبعد فترة أتى إلى القديس طالبًا قرضًا آخر، فأشار عليه أيضًا أن يأخذ من الصندوق. مضى الرجل ووجد الصندوق فارغًا. عاد إلى القديس وقال له انه لم يجد شيئًا. أجابه القديس ربما لأنه لم يُعد المال السابق إلى الصندوق. فاعترف الرجل وغفر له اسبيريدون ذنبه.

عندما ثار الاضطهاد ضد المسيحيين على عهد الإمبراطور مكسيميانوس (أوايل القرن الرابع)، تعرّض اسبيريدون للتعذيب فاقتُلعت عينه اليمنى بواسطة سيخ محمّى، كما قُطعت أصابع يده اليسرى وحُكم عليه بالأشغال الشاقة في أحد المناجم. بقي اسبيريدون حيًا ولم ينكر يسوع، بل أبهجه الله بمعاينة السلام يحل على الكنيسة مع الإمبراطورقسطنطين، واستأهل أن يشارك في أعمال المجمع المسكوني الأول (٣٢٥) الذي دحض هرطقة آريوس الذي أنكر ألوهة الابن. حضر المجمع وهو على عكاز وشهد للإيمان القويم. ولما انبرى أحد

الفلاسفة لمهاجمة الإيمان، قام اسبيريدون الذي كان يجهل الفلسفة والعلوم بدحض تعليمه بإلهام الروح القدس، وجلبه إلى الإيمان مع كل أتباعه.

أثناء وجوده في المجمع رقدت ابنته إيريني، وبعد عودته حضر إليه شخص طالبًا أمانة كان قد وضعها مع إيريني قبل وفاتها. فتش اسبيريدون عن الأمانة فلم يجدها، فاغتمَّ الشخص جدًا. ذهب اسبيريدون إلى قبر ابنته وناداها سائلاً عن الأمانة، فأتاه صوت ابنته من داخل القبر يخبره عن مكان الوديعة. عاد إلى البيت ووجد الوديعة حيث قالت له ابنته الراقدة.

من عجائبه أيضًا ان امرأة أرملة جاءت بابنها الميت وطرحته عند قدميه. صلَّى إلى الله فأعاد الله الطفل حيًا بصلاة اسبيريدون. كذلك أبرأ اسبيريدون ابن الملك قسطنطين من مرض عضال، واستنزل المطر بعد قحط طويل، بالإضافة إلى اجتراحه الكثير من العجائب، فاستحق لقب العجائبي.

لم يهمل اسبيريدون حياة الصلاة والصوم، إلى جانب مساعدة الفقير والمحتاج والغريب. ولم يهمل قراءة الكتاب المقدس، ولم يكن يرضى بأن بتفلسف أحدهم على كلمات الإنجيل، حتى انه وبخ أحد المتكلّمين الفصحاء عندما غيّر إحدى الكلمات الإنجيلية فيما كان يعظ، قائلاً له من يعرف الرب أكثر الواعظ أم الرسول الذي كتب الإنجيل؟

اشترك عام ٣٤٧ في مجمع سرديكا للدفاع عن القديس أثناسيوس الكبير، ثم عاد إلى قبرص ليرقد بسلام عام ٣٤٨ عن عمر بلغ ثمانية وسبعين عامًا. وما زال جسده محفوظًا كما هو لغاية يومنا هذا في جزيرة كورفو اليونانية.

يُذكر ان جسده بقي في قبرص لغاية القرن السابع عندما نُقل إلى القسطنطينية بعد الفتح العربي، ثم نُقل عام ١٥٤٦ خفية إلى جزيرة كورفو اليونانية بعد سقوط القسطنطينية على يد الأتراك. وما زال جسده مصدر أشفية لكثيرين، وقد أنقذ الجزيرة مرة من وباء الكوليرا. فبشفاعاته أللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ طروبارية القديس اسبيريدون:

لقد أظهرتك أفعال الحق لرعيتك، قانونًا للإيمان، وصورةٌ للوداعة، ومعلّمًا للإمساك، أيها الأب رئيس الكهنة اسبيريدون، فلذلك حرزت بالتواضع الرفعة، وبالمسكنة الغنى، فتشفع إلى المسيح الإله أن يخلّص نفوسنا.

+ التهيئة للخلاص

«الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين» (عبر ١: ١-٢).

لقد أخطأ الإنسان وابتعد بإرادته الحرة عن الله، فتسلّط عليه المرض والفساد والموت الروحي والجسدي. ورغم ان الإنسان أدار ظهره لله، لم يتركه الله يتخبط في الخطيئة بل عمل، منذ لحظة سقوط الإنسان، على تهيئة طريق العودة إلى الأحضان الأبوية التي توجت بتجسد ابن الله الوحيد، الرب يسوع المسيح، ليخلّص جنس البشر. غاية الله المحبة: «بهذا ظهرت محبة الله فينا، ان الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس اننا نحن أحببنا الله، بل انه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١يو ٤: ٩و١٠).

لعل كلام الله للحية (الشيطان) هو أول وعد بخلاص الإنسان الساقط: «وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» (تك ٣: ١٥). ومن سوف يسحق رأس الحية، الشيطان، هو الرب يسوع المتجسد، الآتي من نسل المرأة مريم. ثم تتالت الوعود مع ابراهيم ونوح والأنبياء.

لم يحقق الله وعده لآدم بالخلاص مباشرة، بل كان عليه أن يربّي الإنسان على المحبة من جديد، لأن الشرخ الذي صنعه الإنسان، بينه وبين الله، كان كبيرًا جدًا. لذا كان على الله أن يؤسس لمجيء المخلّص، المسيًّا، المسيح. كان عليه أن يهيء الجو عبر الناموس والشريعة والأنبياء والحكماء. وعلى هذا الأساس كتب الرسول بولس: «إذا قد كان الناموس مؤدبّنا إلى المسيح لكي نتبرَّر بالإيمان» (غلا ٣: ٢٤). لقد كلّمنا الله بطرق ووسائل كثيرة، بالأنبياء والحكماء، «ولما جاء ملء الزمان (أي صار الوقت مناسبًا) أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غلا ٤: ٤-٥).

إذًا، العهد القديم كان المربّي للإنسان للوصول إلى الرب يسوع المسيح، وفيه نتابع عمل الله بالتفصيل وسعيه لإعادة الإنسان إليه. اليوم نقرأ العهد القديم على أساس خبرتنا مع الرب يسوع في العهد الجديد، لأن كل تاريخ العهد القديم وجه كماله في يسوع، ولا يمكننا قراءة ما حصل مع أبناء ابراهيم إلا بالنظر إلى قضاء يسوع النهائي على الموت والخطيئة. أما العهود مع ابراهيم وإسحق ويعقوب وقبائل إسرائيل الإثني عشر، وقصة يوسف، والخروج، وإعطاء الله الشريعة لموسى، ودخول أرض الموعد مع يشوع، والقضاة والأنبياء والملوك، وبناء هيكل أورشليم، وكل ما في العهد القديم كلٌّ هذه تجد كمالها ومعناها في مولد المسيح، ابن الله الوحيد، وحياته وموته وقيامته وصعوده وتمجيده. إنه الآتي من عند الآب ليخلّص البشر من خطاياهم ويفتح قبورهم، ويمنح الحياة الأبدية لكل الخليقة.

طبعًا، لم يكن الله يهيء الشعب العبراني فقط لتقبّل الخلاص. عبر العبرانيين كان الله يهيء البشر كافة لاقتبال التجسد. كتابات الأنبياء مثلاً لم تكن موجهة إلى اليهود فقط. من يقرأ كتب الحكمة أو كتاب يونان النبي وقصته مع أهل نينوى يلاحظ رسالة الله الموجهة إلى كافة

البشر: «أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من إثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم عن شمالهم وبهائم كثيرة» (يونان ٤: ١١). هذا لا يعني ان الرب لم يعمل إلا من خلال العبرانيين. فلدى الرب وسائل كثيرة ومن يقرأ الفلاسفة اليونان (أرسطو وأفلاطون وغيرهما) والأساطير والحكايات يلاحظ ان هذه الشعوب كانت تعيش منتظرة فدار النفوس والخروج من عبودية الشر. وقد يكون تشتت اليهود بين الأمم قبل الميلاد أحد العوامل لتهيئة الطريق لاقتبال الأمم الخلاص الحاصل بتجسد الرب يسوع.

فيما نحن متجهون نحو عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد، تضع الكنيسة أمامنا، من خلال الليتورجيا، الخلاص الذي منحنا إياه إلهنا المحب. إنه عيد خلاص الإنسان ودعوتنا لقبول الخلاص والعودة إلى بيت الله فهل نستجيب؟

+ تأمل

تباروا أيها الإخوة وتغايروا في الأمور المتعلقة بالخلاص. إنكبّوا على دراسة الكتب الحقيقية التي من الروح القدس. إنكم تعرفون أن ما كُتب فيها حقيقي غير محرّف. إنكم لا تجدون فيها ان صدِّيقين طردهم قديسون. هناك صالحون قد اضطهدهم الخطأة. صالحون سجنهم أشقياء، أناس رُجموا من الأشرار، وقُتلوا بسبب حسدٍ بغيض فحملوا آلامهم بعظمة. ماذا أقول أيها الإخوة. أرجالٌ خافوا الله ألقوا دانيال في جب الأسود؟ أناسٌ مؤمنون ألقوا حنانيا وعزرا وميصائيل في أتون النار؟ لا. من يكون أولئك الذين فعلوا ذلك؟ كانوا رجالاً مملوئين بالشر والخبث والمُقت، دفعهم حقدهم إلى تعذيب من خدموا الله بنيّة صالحة لا غبار عليها، متجاهلين أن العلي يدافع ويحمي أولئك الذين تحمّلوا بثقة كل هذه العذابات ونالوا المجد والشرف ميراثًا. ان الله قد رفعهم وسجّلهم في الكتاب الذي يحفظ ذكرهم إلى جيل الأجيال آمين.

علينا أيها الإخوة أن نتحمّل هؤلاء الرجال. لقد كُتب «التصقوا بالقديسين لأن الملتصقين بهم قديسون». وفي مكان آخر «كن مع البريء بريئًا ومع المختار مختاراً ومع المعوج تعوج» (مز ١٧: ٢٦-٢٧). فلنلتصقنّ بالأبرياء الصالحين لأنهم مختارو الله. لماذا هذه الشقاقات والخصومات والتنافر والحروب قائمة بينكم؟ أليس لنا إلهٌ واحد ومسيحٌ واحد وروحُ نعمةٍ واحدٌ انسكب علينا؟ ودعوةٌ واحدة في المسيح؟ لماذا نمزق ونقطّع أعضاء المسيح؟ لماذا نثور ضد جسدنا؟ لماذا يستولي علينا الجنون فننسى أننا أعضاء واحدنا في الآخر؟ اذكروا كلام المسيح الذي قال ويل لذاك الإنسان، كان الأولى أن لا يولد من أن يشكك مختاريّ. من الأفضل أن تُعلق رحى في عنقه ويُلقى في البحر من أن يشكك واحدًا من

مختاري» (متى ٢٦: ٢٤). ان شقاقكم سبَّب انحراف الكثيرين وشكّهم وجعلنا في غمرة من الأحزان. ومع ذلك ما زال موقفكم يزداد تصلّبًا...

فلنسرع في إقصاء الشر عن نفوسنا ولنركع أمام أقدام المعلّم نرجوه بدموع ليصالحنا فتعود المحبة الأخوية إلينا. إنه باب مفتوح من العدالة نحو الحياة. كُتب «افتح لي أبواب العدل لأدخل وأعترف للرب. باب الرب هذا يدخله الصدِّيقون» (مز ١١٧: ١٩-٢٠) بين الأبواب الكثيرة المفتوحة، باب العدل هو باب المسيح الذي يدخله الصدِّيقون الذين توجه القداسة أقدامهم دون أن تضطرب. من أراد أن يكون مؤمنًا، حكيمًا، عفيفًا، عليه أن يكون أكثر تواضعًا وأن يستهدف صالح الآخرين أكثر من صالحه.

من كانت له محبة المسيح فليفعل ما للمسيح. من يستطيع أن يفسر رباط المحبة بالمسيح؟ من يستطيع أن يعبر عن جمله اللامحدود؟ العلو الذي تقود إليه المحبة لا يوصف ولا يخبر عنه. المحبة تلصقنا بالله، تغطي كل خطايانا. المحبة لا تعرف الكبرياء، المحبة توفق، المحبة لا تغضب، المحبة تحتمل كل شيء، ترفق وتتأنى، لا شيء فيها عنيف. المحبة تكمل مختاري الله، بدون المحبة لا شيء مرضي عند الله. بالمحبة قبلنا السيد. بالمحبة التي لنا عنده أعطانا المسيح دمه بإرادة الله وأعطانا جسده من أجل أجسادنا وروحه من أجل روحنا.

أنظروا أيها الأحباء كم هي عظيمة المحبة. ان كمالها لا يمكن أن يفسر. أيستطيع أن يكون فيها غير من أهله الله؟ فلنطلب ونسأل رحمته لنكون في المحبة بدون دنس. كل الأجيال من آدم حتى الآن قد عبرت، أما المكملون بالنعمة الإلهية فيجلسون في مجالس القديسين ويظهرون في الملكوت السماوي. لقد كتب «أدخلوا إلى المخازن لبرهة قصيرة حتى يعبر غضبي وسأذكر اليوم المناسب فأخرجكم من أوكاركم» (أش٢٦: ٢٠). نكون سعداء جدا إذا حافظنا أيها الأحباء على وصايا الله في المحبة واتفاق النفس. بالمحبة فقط تغفر خطايانا. لقد كتب «طوبى لمن غفرت ذنوبهم وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لم يحسب له الله خطيئته وليس في فمه غش» (مز ٣١: ١-٢). هذا التطويب هو لمختاري الله بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد إلى جيل الأجيال آمين.

القديس سلوا الآثوسي